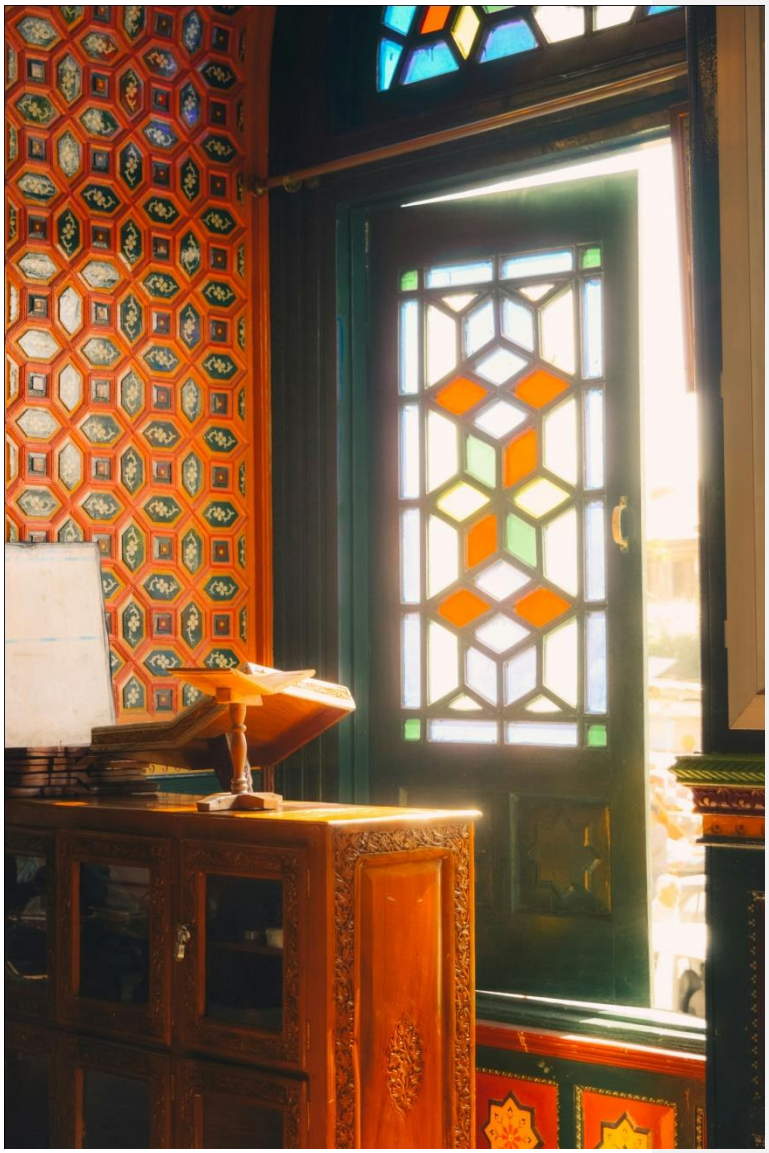

تفريغ محاضرة

ورتّل القرآن ترتيلا

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٣/٨/١١ هـ

ورتّل القرآن ترتيلا

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستعيذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

قبل ١٤٤٣ سنة في غار حراء، كان النبي صلى الله عليه وسلم محمد الصادق الأمين يجلس وحده لا أنيس ولا رفيق؛ بعد أن آذته قريش وآذاه قومه ومن حوله. لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف الكثير عن نفسه، لم يكن يعرف سوى أخلاقه، وهي ما عُرف بها أمامهم كذلك، وهذا أقصى معرفتهم به.

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ٤٠ عامًا، وفي تلك الفترة حُبب إليه الخلاء، فيذهب إلى غار حراء ويجلس ذوات العدد يتحنث، ذوات العدد أي: أيام متتالية، يتحنث أي: يعبد الله من غير وجهة، كما قالت خديجة-رضي الله عنها-.

النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف الله عز وجل، لكنه يعلم ألا يمكن أن تكون الأصنام هي الأحق بالعبادة، أو هي الرب!

وفي ليلة من ليالي آواخر رمضان، وكما يقول الجمهور أنها ليلة ٢٧ رمضان، نزل جبريل -عليه السلام- على النبي، وكان هذا اللقاء الأول بينهما، فأول ما دار بينهما كان ما قالته عائشة-رضي الله عنها-:"...فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال ما أنا بقارئ، ..."[أخرجه البخاري، صحيح] أي: أنا أميّ لا أعرف القراءة أصلًا، "... قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد" [أخرجه البخاري، صحيح

تخيل أن جبريل-عليه السلام- أتى بهيئته الحقيقة على النبي صلى الله عليه وسلم بـ ٦٠٠ جناح، وإذ به يغطي النبي، وفي رواية أخرى: يضمه، فتخيلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه ينعصر بين أجنحته! وعندما شعر النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه ينعصر تركه جبريل-عليه السلام-، فاستنشق النبي صلى الله عليه وسلم أنفاسه من جديد، "..ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ منّي الجهد.." [أخرجه البخاري، صحيح]

كان جبريل-عليه السلام- يضم النبي صلى الله عليه وسلم بقوة، كما لو أنه يخرج منه كل ما هو عالق من الجاهلية أو الزمن! **من تلك اللحظة بدأ نزول القرآن**، فنزلت أول آيات القرآن الكريم، بقوله تعالى: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" العلق: ١-٥

منذ أن قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وهو لم يعد محمد الصادق الأمين فقط! بل أصبح نبي الله محمد، خاتم المرسلين، أصبحت معه رسالة ومنهج حياة، تُغير حياته وحياة أُمته بعد تلك اللحظة.

أمة محمد كانت أمة مهزومة أمام شهواتها ونزواتها، لا تعرف من أمرها شيئًا، ولا تعلم إلا القليل من مكارم الأخلاق، والعيش في الجاهلية والبعد عن الحضارة، حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أمر الله وغيرها خلال ٢٣ سنة فقط، فأصبحت أمة محمد عكس ما كانت عليه تمامًا!

مليار و٤٠٠ مليون مسلم والعدد في ازدياد، منذ تلك الليلة التي نزل فيها القرآن بالخمس آيات الأولى!

قال تعالى:"وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ" الرعد:٣١ ،
وقال تعالى كذلك:"لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ" الحشر:٢١

ماذا لو أننا نرى تأثير القرآن بأعيننا؟ المعجزات التي تحدث من عظمة القرآن لا تقل عن معجزة موسى حينما فلق البحر بعصاه!

هذا التغير مادي! إذن كيف بالتغير المعنوي؟ كيف بقلوب لا تتغير بالقرآن؟

نحن الآن في شهر شعبان، حيث كان السلف يسمونه شهر القراء؛ لأنهم كانوا يغلقون حوانيتهم ويتخففون من أشغالهم ويبدؤون بقراءة القرآن تمهيدًا لرمضان، ما تأثير هذا الاستعداد على المؤمن؟ ولماذا يستعد أصلًا..

دعونا نتكلم عن تدريب النفس في شعبان تهييئًا لرمضان،

- **تدريب النفس على الطاعة منذ شعبان استعدادًا لرمضان يحمل معرفة وتدبر ٣ خطوات أساسية :**
  - الخطوة الأولى: معرفة مكانة القرآن.
  - الخطوة الثانية: معرفة مدى ارتباط القرآن بشهر رمضان.
  - الخطوة الثالثة: خطوات عملية للعيش مع القرآن.

كيف نعيش مع القرآن؟

دعونا نبدأ..

- **المحور الأول: معرفة مكانة القرآن.**

لماذا القرآن بالذات؟ لماذا نتحدث عن القرآن دومًا أكثر من كل العبادات الأخرى؟

إن الله عز وجل يأمرنا أن نستعد لحدث عظيم عند قراءة القرآن، قال تعالى:"فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" النحل: ٩٨

لماذا يأمرنا الله بالاستعاذة من الشيطان الرجيم؟

لأنه متى ما أتى إليك الشيطان أثناء قراءتك جعلك تمل منه، فلا تستفيد منه شيئًا، لن تتغير حياتك ولن يتغير قلبك، رغم أن القرآن نزل حتى يكون التغيير!

بعد الاستعاذة يخبرنا الله بأمر مهم يجب أن نلتفت إليه أثناء قراءة القرآن، وهو السكينة! لو بحثتَ في القرآن ستجد أن جميع المواضع التي ذُكرت فيها السكينة كانت في لحظات وفواصل مهمة في التاريخ، مثلًا في أوقات القتال، تجد أن الله يمتدح المؤمنين قال تعالى:"هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ" الفتح:٤

لماذا نحتاج السكينة في قلوبنا أثناء قراءة القرآن؟

كانَ رَجُلٌ-يقال أنه أسيد بن خضير- يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وإلَى جانِبِهِ حِصانٌ مَرْبُوطٌ بشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وتَدْنُو وجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أصْبَحَ أتَى النبي صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذلكَ له فقالَ: تِلكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بالقُرْآنِ.

إذن السكينة التي نتكلم عنها هي شيء ملموس! كذلك عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم :"..مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" [أخرجه مسلم، صحيح]

هل تفكرتم في ترتيب آيات سورة الرحمن؟

تخيل لو أن ترتيب السورة بدأ بهذه الطريقة -الخطأ-، (الرحمن* خلق الإنسان* علمه البيان* علم القرآن) فمثلًا نقول أن الله عز وجل الرحمن خلق الإنسان ثم علمه البيان أي الفصاحة والكلام، ثم أنزل عليه القرآن! هل هذا صحيح؟ السورة لم تنزل بهذه الطريقة، إنما نزلت كما قال تعالى:"الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ" الرحمن: ١-٤

هل تفكرت بترتيب تلك الآيات؟ **يقال في التفاسير بأن الإنسان لا يبقى إنسانًا إلا لو سلّم نفسه للقرآن، أي أن كل إنسان مبتعد عن القرآن فهو مبتعد فاقد لإنسانيته! لذلك أتى ذكر القرآن قبل الإنسان**، إذن أنت فاقد لكونك إنساناً لو لم تقرأ القرآن، وهنا لا نقصد فقط القراءة بالعين! إنما القراءة التغيرية، القراءة التي تغيرك، تخلق منك إنساناً جديداً، يسلم نفسه للقرآن ليعمل به.

لاحظ نفسك! ولاحظ العالم من حولك.. إلى أين وصلنا؟ لاحظ هذا العالم الذي لا يعرف القرآن، إلى أين وصلنا في الهبوط الأخلاقي؟ انتشار المحرمات، الفواحش، العلاقات المحرمة والشذوذ و و .. وصلنا إلى الدرك الأسفل الأخلاقي بعد ابتعادنا عن القرآن، فلا يمكن للإنسان أن يكون طبيعًا متوازنًا إلا لو قرأ القرآن وعاش معه وعمل به.

ولذلك حينما أنزل الله عز وجل نبيه آدم إلى الأرض، قال تعالى :" قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" البقرة:٣٨

تخيل معي لو نزل آدم-عليه السلام- إلى الأرض لأول مرة كيف يعيش؟ كيف ستُبنى الأرض؟ وكيف تُقام الحضارة؟ كيف يربي أبناءه؟ ما هو ميزان العدل؟ وما هو ميزان الصراط؟ قال تعالى:" قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى" البقرة:٣٨

أي: سيأتيكم مني هدى فلا يمكن الله عز وجل أن يجعل الناس هَمَلًا، فلا تظن أن عيشك بعيدًا عن القرآن هو طبيعي! لا تظن أنك حينما تبتعد عن القرآن وعن أمره وعن أن تأتمر به تكون الحياة الطيبة! لا.. نحن نشقى دون القرآن، وهذا ما قاله الله تعالى: "طه* مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ" طه: ١-٢

أي: أن الذي لا يعرف القرآن يشقى في حياته، لاحظ جميع حالات الحزن والاكتئاب والهشاشة الروحية التي أصبحنا

نعاني منها بكثرة، لماذا؟ لأننا ابتعدنا عن مصدر الوحي وعن مصدر التغير الأول الذي أنزله الله عز وجل، وهذا مما ذكره الله عز وجل من صفات هؤلاء، قال تعالى:"حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى" الأنعام:٧١

الصفة الأولى: حيران، لا يعرف لمَ يعيش، ولا كيف سيعيش، كيف أبدأ ومن أين؟ ضغط المجتمع ثقيل، وأنا لا أملك شجاعة أن أقول لا، قراراتي متخطبة، فلا أعرف ما الصحيح..

كذلك قال تعالى:"وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ" الحج:٣١

الصفة الثانية: متقلب، تمر عليه لحظات يشعر فيها وكأنه محمول على رياح، تقلبه يمنة ويسرة، اليوم حزين، غدًا فرح، متقلب المزاج والأطوار، لا تعلم كيف تقود نفسك ولا كيف تسيطر عليها، فكأنما خر من السماء، فيحاول ينقذ نفسه طوال حياته، ولا يعلم أين خطواته تؤدي به..

كذلك قال تعالى:"فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث" الأعراف: ١٧٦

الصفة الثالثة: مُتعَب، في نصب دائم، يلهث كمثل الحيوان، يتخبط في حياته بحثًا عن سعادته ولا يعلم أين هي.

هذه صفات من ابتعد عن القرآن، في المقابل يعرفنا الله عز وجل بهذا القرآن الكريم فيقول، قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ" يونس:٥٧

الموعظة أي: النصح الرقيق، القرآن يربت على قلبك، القرآن يطبطب على روحك، ينصحك نصح الرفيق حينما تسلم قلبك له، حينما تكون عيناك التي تقرأه تهتدي بهداه، فتجد في القرآن ما كنت تبحث عنه، **قد تكون أنت تبحث عن شيء يؤثر فيك أو يغير فيك! سلم نفسك للقرآن وستلاحظ التغيير.**

شفاء لما في الصدور أي: شفاء لقلبك، لاحظ لفظ شفاء، لم يذكر أنه دواء، لماذا؟ لأن الدواء قد يشفي وقد لا، هو سبب من الأسباب، ولكن النتيجة هي الشفاء، وتعظيمًا لشأن القرآن ذكر الله أنه شفاء.

ولا يقف التعبير القرآني إلى هنا فقط، بل يُوصف القرآن بأنه **هدى ورحمة للمؤمنين**، هذه الرحمة التي يحتاجها المؤمن يجدها أيضا في القرآن، ولذلك من أجمل التفاسير لقوله عز وجل في دعاء موسى-عليه السلام-، قال تعالى:"قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي" طه: ٢٥-٢٦

لماذا هاتان الدعوتان متلازمتان؟ لأن الأولى تزيل عنك العوائق الداخلية، من الحزن والاكتئاب والفتور والضعف، والأخرى الخارجية من الانشغالات والأفكار، القرآن بين يديك، لكن يدخل فلان، أو يصلك اتصال!

إذن عندما ندعو بهذا الدعاء "رب اشرح لي صدري" أي أزل عني هذه العوائق الداخلية النفسية الروحية، وأيضا "يسر لي أمري" بأن تزول كل العوائق الخارجية فتجد الوقت مفرغاً لك حتى تنهل من هذا المعين.

إذن حينما نقول إنه هدى ورحمة للمؤمنين وشفاء لما في الصدور ، هذا هو الشيء الأول الذي نريد أن نتحدث عنه حينما نجيب عن.. لماذا القرآن بالذات؟ بعدما علمنا أن القرآن هو روح وهو نور وشفاء ورحمة،

ماذا نفعل حيال هذه المعلومات والصفات؟ **المطلوب منك هنا أن تتمسك بالقرآن وأن تعتصم به**، قال تعالى:" وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" آل عمران:١٠٣

واعتصموا بحبل الله، أي: القرآن، كيف اعتصم بحبل الله؟ قال الإمام الرازي -رحمه الله- قال: **فأما الحبل فهو القرآن يمسكه الإنسان حينما يكون خائفاً وعلى شفا حفرة.**

تخيل لو كنت على شفا حفرة، لو سقطت بها ستموت حتمًا، وأمامك حبل قاسٍ ثخين، هل تمسكه رغمًا عن قساوته؟ أم ستتركه وتموت بدلًا عن تحمل صعوبة مسكه؟ من المؤكد أنَّ العاقل سيختار أن يمسك الحبل مهما كلفه الثمن! هذا هو القرآن في حياتك! الله عز وجل يشبّه القرآن بهذا التشبيه، حبل الله هو القرآن الذي يجب أن تتمسك به بقوة، حتى وإن كنت تستصعب ذلك! وإن كانت فيه مشقة عليك!

الحياة مليئة بالشبهات والشهوات، والحبل الذي ستنجو به هو القرآن، عن أبي شُريح الخُزاعي -رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :"إنّ هذا القرآن سببٌ طرفه بيد الله و طرفه بأيديكم" [أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح]

عندما تمسك القرآن وتقلب بين صفحاته، هل تستشعر أن هذا القرآن طرفه الأول بين يديك وطرفه الآخر بين يد الله سبحانه؟ لو كنت تستشعر هذا لن تقرأ القرآن قراءة عادية؛ لأن قلبك سيذوب بمجرد إدراكك أن هذا القرآن هو موصول بالله وهذا الكلام هو كلام الله عز وجل! لذلك نحن عندما نقرأ القرآن يجب أن نعرف لماذا نقدر القرآن ونعظمه.

إذن الآن بعد أن عرفنا مكانة القرآن وعظمته، ولماذا يجب أن نعظمه و نتواصى فيه أكثر من كل العبادات الأخرى، نأتي الآن لمعرفة الخطوة الثانية، وهي:

- **الخطوة الثانية: معرفة مدى ارتباط القرآن بشهر رمضان.**

لماذا نقرن رمضان مع القرآن؟

قال تعالى:" شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ" البقرة:١٨٥

هل فكرت يومًا لماذا لفظ القرآن والصيام متلاصقان دومًا؟ كما أنهم أيضا شفيعان يوم القيامة، فهما متلاصقان في الدنيا والآخرة، فما سر هذه المزاوجة بينهما؟

حتى نفهم السر يجب أن نعود إلى قصة الخلق الأولى، وهي عندما خلق الله عز وجل الإنسان من طين، وآدم هو أول من خلقه الله بيده ثم تركه في الجنة، فكان الشيطان يطوف به ويقول: ما هذا؟ ما هذا الذي خلق؟ فنفخ الله بآدم من روحه، وبعدها تغيرت حياة الإنسان، وهذه الروح هي السر الذي لم ولن يقدر أن يعرفه أحد، كيف تنفخ أو كيف تخرج! هذه كلها في علم الغيب، رغم محاولات العلماء في مراقبة الإنسان قبل أن يموت، حتى يراقبوا طريقة خروج الروح وكيف تكون إلا أنه لا أحد يعرف كيف هذه الروح التي خلقها الله عز وجل.

إن جسد الإنسان-الطين- يعيش ويتغذى على الأكل، فإن لم تطعمه سيجوع ويموت! كذلك روح الإنسان-نفخة الروح- تعيش تتغذى على الطاعة، إن لم تشبعها ستجوع وتموت! ونلاحظ أن الله عز وجل سمّى الإنسان الذي لا يغذي روحه ولا يعرف الله عز وجل ميتاً حتى وإن كان يعيش على الأرض، قال تعالى:"أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأنعام:١٢٢

هؤلاء الذين ماتت أرواحهم فلا تسأل عن مدى شقائهم ولا حزنهم ولا كدرهم في الدنيا والآخرة؛ لأن أرواحهم حُبست داخل الجسد، فتجد أن حياتهم تتوقف، ويقتل نفسه عندما تصيبه مصيبة، أو يفقد عزيزا، أو أو .. يشعر أن الآن يجب أن أضع نهاية لهذا الألم الذي أعيشه.. فتجده انتحر ومات! لكنه لا يعلم أن الروح لها اتصال مع البارىء حتى وإن مات الجسد.

قال تعالى:"وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" الشورى:٥٢

لاحظ أن الله عز وجل سمى القرآن بالروح في الآية، وهذا يبين لنا كيف يرتبط القرآن بالروح.

قال تعالى:"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الأعراف:١٧٥-١٧٦

لاحظ المثال الذي ضربه الله عز وجل بمن ارتبط بالقرآن وتعلمه وحفظه وعمل به ثم انسلخ عنه، فأصبح يعيش على هواه وكما يأمره هواه لا كما يأمره الله، فأتبعه الشيطان بعد انسلاخه فكان من الغاوين، ولو شاء الله عز وجل أن يرفعه بالقرآن لفعل!

ومن هنا ندرك أن القرآن يرفع الإنسان مقامًا في الدنيا والآخرة، ونحن نرى هذا المشهد لإنسان يرتفع بالقرآن وتشده سلاسل مكبلة بأقدامه إلى الدرك الأسفل، هذه السلاسل هي شهوات الدنيا، من أكل وشرب ومنصب ومال وجاه وأولاد، هذه السلاسل تكبل أقدامه، رغم أنه يريد أن يحلق ويرتفع بالقرآن، إلا أنها تربطه!

ما علاقة هذا الحديث برمضان والقرآن؟ رمضان يكسر هذه السلاسل! في رمضان تُفتح أبواب الجنة وتُغلق أبواب النار، ينادي المنادي، يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، لماذا؟ حتى تعيش وتحلق مع القرآن كما يجب، لذلك تأتي هذه المزاوجة بين القرآن ورمضان؛ لأن العبد في رمضان يجب أن يتغير حاله مع القرآن، يسلم نفسه له ويعمل به حتى يكسر هذه السلاسل التي تجعله يخلد في الأرض، وحتى نكون ممن يعلمون ويعملون ما يوصي به القرآن سنأتي إلى خطوات عملية بعد قليل توضح كيف نعيش مع القرآن.

عندما نتحدث عن الإنسان البعيد عن القرآن وأوامر الله، فكأنما نتحدث عن طريق غير معبّد وغير صالح للعبور! يحتاج

الكثير من التحسينات والتعديلات حتى يكون ممهداً؛ وكذلك الإنسان.. يحتاج أن يصلح من نفسه وقلبه حتى يكون طريق قلبه ممهداً فيصل به إلى رضا الله عز وجل، وهذا الإصلاح لا يكون إلا بالقلب.

الإنسان قد يكون ظالماً هالكاً شحيحاً كنوداً، لكن يأتي القرآن فيصلح قلبه وعقله وجوارحه، وهذا جاء به الله عز وجل في سورة المزمل، قال تعالى:"إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا* إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا" المزمل:٥-٦

أشد وطئًا، أي: أقرب للفهم، لماذا؟ حتى تستطيع أن تغير نفسك من خلالها. مهم أن تكون علاقتنا بالقرآن متينة غليظة! لا تجعل علاقتك مع القرآن كمثل الطفل مع شيء يراه وينشد إليه ثم عندما يرى لعبة أخرى يندهش إليها وينشغل بها وينسى ما كان معه.

احذر، احذر أن تقرأ آية يذكر فيها يا أيها المؤمنون.. يا أيها الذين آمنوا.. وتلهى عنها بالحياة الدنيا، نحن حمّلنا الدنيا فوق مالا تحتمل! فعندما نقرأ يا أيها الذين آمنوا لا نلقي لها بالًا، فلا تأتمر بما أمرت به ولا تنتهي عما نهيت عنه! وهذه من الأمور التي تحتاج مجاهدة وصبر..

قال ابن العباس-رحمه الله-: **من أراد أن ينتفع بالقرآن فلا يحدث نفسه بغير القرآن**. إذن عندما تفتح القرآن يجب أن تقرأه بقلب وعقل صافٍ! لا شيء يشغلك أو يعكر صفو وقتك مع كتاب الله عز وجل، فلا ترتبط بأي شي آخر سوى كلام الله أثناء قراءتك! بهذه القراءة ينتفع العبد الصالح.

وهنا نعرج على أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدعاء الاستفتاح عندما نبدأ بالصلاة، لماذا؟

حتى تتطهر و تخفف من ثقل الأرض، ومن السلاسل التي تكبلنا؛ لكي ينفتح القلب لتلقي القرآن، ولذلك عندما تلاحظ صيغة دعاء الاستفتاح: -اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب، اللهم نقِّني من خطاياي كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثَّلج والماء والبرد.- تجد أن معانيه كلها تدعوك للتخفف من ثقل الدنيا وهمومها والتطهر منها حتى يصفو القلب ويكون قابلًا لاستقبال القرآن.

بعد أن علمنا عظمة القرآن وسبب ارتباط القرآن في رمضان، نأتي الآن إلى المحور الأخير نتعلم فيه كيف نعيش مع القرآن، وكيف نجعله جزءًا لا يتجزأ من حياتنا.

- المحور الثالث : خطوات عملية للعيش مع القرآن.

كيف نعيش مع القرآن؟

إن بعض الناس قد تهتم فقط للخطوات العملية دون التركيز على الكلام السابق، والحقيقة أن كل الخطوات العملية التي سنذكرها لن تنفعك لو لم تقدر القرآن قدره.

ستجد ربما آلاف الناس تعطيك نصائح عن افعل هذا ولا تفعل هذا أثناء قراءتك -وهذا طيب- ولكن الأساس هي طريقة إقبالك على القرآن ونفسيتك أثناء قراءتك.. القرآن ليس رواية ولا جريدة! هو شيء آخر مختلف تمامًا! شيء نحاول من خلاله أن نتعالج ونتغير ونغير أنفسنا به، لذلك فخطة التغير لكل واحد منّا مختلفة

عن الآخر، كلٌ منا لديه ما يعانيه في ناحية ما، فكل واحد يقرأه وهو يبحث عن علاج لمشكلته، ومن رحمة الله أنه جامع لكل العلاجات! المهم.. أن تقرأ القرآن وأنت تريد أن تتغير من خلاله، هذا هو الأساس.

ثم ماذا؟ ما هي الخطوات؟ نأخذ أول خطوة من قوله تعالى:"شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهدى" البقرة:١٨٥

إذن لو قرأنا القرآن كما يجب فالنتيجة لن تكون فقط أن نرزق الهدى! بل بينات من الهدى، فتجد الله لا يهديك فقط! وإنما يرزقك البصيرة! فترى نفسك والعالم من حولك بوضوح! ونحن هذه كل مشكلتنا، أننا نرى الصورة مغبشة دائمًا! إذن ماذا يجب أن نفعل؟

١ - أن تفرغ نفسك للقرآن.

ولا أقصد هنا التفريغ الوقتي فقط! وإنما التفريغ النفسي، بأن تفرغ ساعة من يومك تنقطع فيها عن كل ما حولك و تتصل بالقرآن فقط لا غير، فلا يشغلك اتصال من فلان، ولا رسالة من فلانة، ولا تنشغل أنت بتصوير الآيات وتنشرها، فتشتت انتباهك عن تلاوتك وتدبرك! فترى نفسك تمر على آية مهمة لكنك لا تستشعرها، لماذا؟ لأن عقلك وقلبك مشغولان بالدنيا.

إذا انتهيت من قراءتك افعل ما تشاء، تحدث مع أهلك وأحبابك، وشاركهم فوائدك من قراءتك، لكن بعد القراءة! بعد وقت القرآن. لذلك ما نحتاجه نحن التفريغ النفسي وليس الوقتي فقط، وهذه مجاهدة عظيمة، ولكنها تستحق! لنفسك عليك حق.

من الطرق المفيدة لك في تدبر القرآن، هو أن تجعل بجانبك ورقة وقلم وتمسك القرآن، وتحدد كمية تود قراءتها دون تحديد مدة انتهاء، لماذا؟ حتى لا تكون في سباق مع نفسك! فتجد نفسك تقرأ بسرعة دون تدبر وتنتهي! وتوهم نفسك أنك تقرأ القرآن، هذه القراءة لا تعالجك! وليست هي ما نقصد.

نبدأ بالقراءة، هل فهمت الآية الأولى؟ إذن انتقل للثانية، هل واجهت كلمة لم تفهمها؟ اكتبها على الورقة، انتقل للآية الثالثة، هل خطر على بالك سؤال؟ اكتبه على الورقة، اذهب الآن للآية الرابعة، استشكل عليك شيء فيها؟ اكتب رقم الصفحة والسورة والآية، وهكذا إلى نهاية الجزء؛ إن انتهى الجزء دون أن تسجل أي شيء فأعد قراءة الجزء من جديد؛ لأنك لم تقرأه كما يجب، مستحيل يمر عليك جزء كامل دون أن يمر عليك شيء يستحق الكتابة! بعد انتهاء القراءة ابحث وتأمل فيما كتبت وأقرأ في التفسير الأول والثاني والثالث، وتأمل كيف يغيرك القرآن ويعالج روحك.

وهذا يجعلنا نتأمل حال السلف في قراءتهم للقرآن، كانت لديهم ختمة أسبوعية للقرآن كاملاً، نحن لا نتحدث عن موسم طاعة، رمضان أو ذي الحجة! بل هذه حياتهم.. يعيشون لأجل القرآن، فتجد أن لديهم ختمة أسبوعية (٥أجزء/اليوم) وختمة سنوية، يقسمون القرآن عليها وتسمى ختمة التدبر! والهدف هنا ليس زيادة عدد الختمات

فقط، بل زيادة التدبر وزيادة الختمات كذلك، إذا كنا نريد أن ندخل رمضان بقلب مختلف يجب أن نفرغ أنفسنا وقتيًا ونفسيًا للقرآن.

عندما نفرغ أنفسنا للقرآن نحن نسمح لقلوبنا أن تستقبل كلام الله بقلب خاشع صافٍ! لذلك نحن كنا نتكلم دومًا عن التخلية قبل التحلية والتطهير؛ حتى ننظف قلوبنا من الشهوات والشبهات حتى يكون هناك مساحة للقرآن في قلوبنا.

٢- أقم الليل.

الآن نتكلم عن المرحلة الثانية بعد أن نفرغ أنفسنا وقتيًا ونفسيًا للقرآن، وهي أن نقوم الليل! ونقرأ بها الآيات التي مرت علينا أثناء يومنا، جزء من تفريغك النفسي أن تقرأ القرآن في قيام الليل.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال، قال النبي:"من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين ومن من قام بمائة آية كُتب من القانتين" [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

مثلًا سورة مريم ٩٩ آية، مع سورة الفاتحة أنت أتممت المئة! وهذه السورة جميلة وسهلة الحفظ، ومليئة بأنواع المحامد والأحداث التي حدثت للأنبياء-عليهم السلام- وكيف تعاملوا معها، وهي سورة النعم؛ لأن الله عز وجل امتن على عباده بمواطن عديدة في السورة.

كذلك سورة يوسف ١١١ آية، أي أنك زدت عن المئة! وهذا خير في خير، سورة بسيطة متسلسلة بأحداث قصة يوسف -عليه السلام-، وقد تجد لك من يعاونك على حفظها، فيزيد أثر القرآن ووجوده في حياتك.

إن القرآن مليء بالمواقف والأحداث التي تمثل حياتك بشكل أو بآخر، تقرأ سورة يوسف فتجد دموعك تصب صبًا؛ لأن الآيات كلها تلامس موقف مر عليك في حياتك، من قسوة أو تآمر أو حقد وكراهية! ثم فرج الله كيف يكون! في لحظة قوتك ومجاهدتك لنفسك أمام المعصية! وقولك لا معاذ الله في كل معصية يوسوس لك الشيطان. هناك مشاعر عديدة لا تأتي إلا أثناء قراءتك للقرآن أثناء قيام الليل! لأنه وقت خالٍ فارغ! لا أحد غيرك، أنت والله عز وجل.

قال تعالى:"إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا" المزمل:٦

ناشئة الليل، أي: مواطأة القلب، وأقوم قيلا، أي: أشد وأقوى للفهم.

كذلك عندما تقرأ سورة آل عمران وترى فيها آيات غزوة أحد، والصحابة الذين استشهدوا فيها ومدى الألم والأسى الذي حصل، فتجد قلبك يرجف وكأن الآيات تتكلم عن مصائب مررت بها من فقد عزيز وغالٍ! فعندما تقرأ قال تعالى:"أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ" آل عمران: ١٦٥

ثم قال تعالى:"وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" آل عمران:١٣٩

وبعدها قال تعالى:"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" آل عمران:١٧٣

هذه الآيات عندما تقرأها في قيام الليل و تستشعر عظمة الله عز وجل، وأنه يضع وجهه أمام وجهك، تطيب بها نفسك ووجدانك، ويربط الله بها على قلبك فيزيد بذلك إيمانك وقربك من الله عز وجل.

٣- التعلم عن القرآن.

إذن لا تدخل رمضان دون أن تكون لك ختمة ختمتها، وسورة خشعت بها في قيام الليل تطهر قلبك من ثقل الدنيا، وهذا نسميه بالتحضير الإيماني، ثم ندخل بعدها بالتحضير المعلوماتي وهي تشمل إجابتك على جميع التساؤلات في ورقتك الملازمة لك أثناء قراءتك للقرآن! ابدأ البحث عن في التفاسير المكتوبة، منها: التفسير الميسر، التفسير الوجيز والتفسير المختصر، والتفاسير المسموعة كذلك،

وهنا أوصيكم ببرنامج بينات: وهو عبارة عن مجموعة من الهدايات القرآنية في كل جزء من القرآن، وهذه التوصيات الآن أصبحت مهمة وواجبة! سابقًا قد تراها مستحبة وتطوع ولكن في هذا الزمن هي واجبة ومهمة على كل مسلم، وهذا مما يساعدك أن تدخل رمضان وأنت مستعد له! فإن دخلت بقلبك كما هو منذ السنة الماضية ستخرج من رمضان دون أن يغيرك، فإذا تشابهت المدخلات تشابهت المخرجات، فابدأ الآن ولو بالقليل، ولو بمعاني الكلمات هذا كله خير وبركة! المهم أن تجعل علاقتك بالقرآن تتغير.

ومن ميزات التفاسير المكتوبة أنها تختصر عليك الوقت والجهد في البحث عن ما تود معرفته، فتجد أقوال العلماء وأسباب النزول وتوصيات ومعاني الكلمات، إن انتهيت من التفسير الأول ابدأ بالثاني، ثم الثالث، انتهيت من الثالث؟ ابدأ بتفسير الشيخ السعدي أو تفسير الإمام الشوكاني، انتهت منهم؟ انتقل لتفسير ابن كثير.. وهكذا، اجعل التفسير ملازماً لقراءتك للقرآن حتى تتغير به.

تعلمك في معاني القرآن وتفاسيره لن ينتهي، حتى وإن بلغت من القراءات ما بلغت! يبقى الإنسان يجهل الكثير، أحدثكم وأنا أقرأ الآن تفسير عقد الجمان في تفسير القرآن للشيخ عبدالملك قاسم، وبدأت بقراءة سورة الفاتحة وتفسيرها ووجدت أني انتهيت منها خلال دقيقة! فعاودت القراءة بتركيز؛ لأن غايتي أن أتغير بالقرآن وليس أن أمر عليه مرور الكرام، فوجدت معاني عظيمة لسورة الفاتحة، يقول التفسير في قوله تعالى:"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:٢

أي: الحمد لله هو الثناء على الله بصفات الكمال ووصف المحمود بالكمال والمحبة والحمد هو الثناء باللسان، أما الشكر فيكون باللسان والقلب والأعضاء ولا يكون الشكر إلا مقابل النعمة، أما الحمد لكمال المحمود، والسورة تبدأ بالاعتراف والاعتراف فيه معنى عظيم؛ لأنه إقرار من العبد بتقصيره وقدره وفقره وحاجته، واعتراف لله بالكمال والفضل والإحسان، وهو من أعظم أنواع العبادة.

هل هذه المعاني كنت تستشعرها أثناء قراءتك لسورة الفاتحة؟ هل كنت تقرأها وأنت تعترف بفقرك إلى الله؟ وحاجتك له؟

نكمل إلى ما بعدها، في قوله تعالى:"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة:٥

يقول التفسير: لا نعبد غيرك ولا نستعين وذكر سبحانه الاستعانة بعد العبادة، ثم يقول إن الله لو لم يعن عبده لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي؛ لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره.

هل يأتيك شعور العجز أثناء قراءتك لهذه الآية؟ هل يأتيك شعور القوة بالله فقط دون غيره؟

من المعلومات التي ذُكرت في سورة الفاتحة أن أول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة، وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية، وحظه من الهداية على قدر حظه من الرحمة، فعاد الأمر كله إلى نعمته وإلى رحمته. ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه هو دعاء الفاتحة.

عندما تقرأ هذا التفسير وهذه المعاني لا يمكن أن تقرأ الفاتحة كما كنت تفعل سابقًا! ستتغير مشاعرك أثناء قراءتها في الصلاة ويزيد مستوى استشعارك لعظمة الله أمام ناظريك.

بعد أن ننتهي من سورة الفاتحة ننتقل إلى سورة البقرة، وهي أطول سورة في القرآن على الإطلاق، سنام القرآن وفسطاط القرآن، وتشتمل على ٥٠٠ حكم و١٥ مثالاً، تعرف ماذا يعني ٥٠٠ حكم؟ يعني ٥٠٠ مادة قانون، ٥٠٠ معيار، أنت تحفظ دستور لو حفظت البقرة فقط.

عرفت لماذا عمر -رضي الله عنه- نحر جزورًا عندما حفظ سورة البقرة؟ ولماذا كان المهر هو حفظ الرجل لسورة البقرة؟

وأذكر لكم هنا من تفسير سورة البقرة قوله تعالى:"خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" البقرة:٧

مما ذُكر في التفسير أن القلوب إذا كثرت عليها الذنوب، طمست نور البصائر فيها، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر عنها مخلص.

هل خطر على بالك مرة أثناء قراءتك لهذه الآية أن تكون أنت المعني بها؟

قال ابن العباس-رحمه الله-: **أن العبد إذا أذنب الذنب انقبض إصبع، فإذا أذنب العبد انقبض الإصبع الثاني، ثم الثالث ثم الرابع ثم يذنب الذنب فيختم على قلبه فيريد أن يتوب فلا يتوب، ويريد أن يرجع فلا يرجع؛ لأنه انختم على قلبه.**

إذن هذا التحضير المعلوماتي مهم جدًا، ومن أجمل الأشياء التي تساعدك في هذا الصدد، موقع إنه القرآن: وهذا الموقع يعرض عليك ٣ محاضرات تسمعها، ثم يعرض عليك نموذجاً تطبيقياً لكيفية تدبر القرآن في جميع السور، هذا الموقع جميل ومختص جدًا في كيف يقرب لك القرآن حتى يكون قريباً منك فيعيد تشكيل قلبك وعقلك وفكرك.

نختم حديثنا بنصيحة من كتاب: مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، للدكتور خالد اللاحم وهو أستاذ في القرآن وعلومه في الجامعة الإسلامية، والكتاب هذا من أجمل الكتب والمختصرة والعملية، كما أنه منهج كامل، يعلمك كيف تحب القرآن! وكيف تقرأ القرآن وكيف تضع خطة عمل خاصة بك لتعينك على العيش مع القرآن.

أمامنا وقت قليل، عشرين يوم، لكن فيها البركة لمن أراد أن يغير من حياته، ومن علاقته مع القرآن، الدرس القادم سيكون عن رمضان وبعدها سندخل في عالم آخر، وعندما ندخل رمضان لن يكون هناك إلا ختمات وصيام وأعمال رمضان، فالتحضير المعلوماتي الآن وقته،

إن كنت لا تحب القراءة فاسمع مثلًا في تفسير سورة هود للشيخ عمر المقبل، كذلك هناك وقفات عديدة للمشايخ: عبدالرحمن معاضة الشهري، الشيخ مساعد الطيار والدكتور أحمد عبدالمنعم، هؤلاء يقدمون مجهوداً كبيراً في تقريب القرآن للناس.

اقرأ واسمع في حال السلف مع القرآن، تأمل كيف كانوا يعيشون مع القرآن، وكيف كانوا يقرؤونه، وكيف كانت أحوالهم معه، ولو دخلنا في هذا الباب لن نخرج منه؛ لأن الأمثلة في ذلك لا تعد ولا تحصى،

وأذكر لكم قصة أحدهم وهو أبو بكر بن عياش -رحمه الله-، حينما جاء مرض موته، بكت ابنته عليه فقال: يا بنيه أتبكين علي؟ أترين أن الله يضيع لأبيك ٤٠ سنة يختم فيها القرآن كل يوم! ختمت في هذه الزاوية ٤ آلاف ختمة.

ربما تقول هؤلاء السلف ليست لديهم ملهيات مثل الآن، لكن مازال من المعاصرين إلى اليوم من يختم في اليوم والليلة ختمة، ويذكره الدكتور موفق كدسة عن واحد من حفظة القرآن في جدة تحديدًا فيما يسمى باليوم القرآني، يسمّع فيه الطلاب القرآن كاملاً من الفجر إلى الليل، فيقول: قابلت أحد المعلمين الحفظة فقلت له: كم طالباً ختم عليك؟ قال: ٣ ختمات! فقال له: وما هي مشاعرك؟ فقال: والله كأنني لا أمشي على الأرض!

تخيّل في يوم تسمع القرآن كله ثلاث مرات، فإذا أنت تعجب فاعرف أن من صفات الشافعي -رحمه الله-، أنه كان يختم في كل يوم وليلة ختمة، وهذه من صفاته، فإذا جاء رمضان ختم في اليوم مرتين، ختمة في النهار وختمة في المساء، هذه العلاقة المتينة بالقرآن لا تتكون إلا عندما تذوق حلاوته، ولذلك من أفضل الخطوات التي قد تبدأ بها أن تجعل لك جدولاً حافلاً بالقرآن!

نحن نريد أن نغير ونتغير بالقرآن، لذلك يجب أن نغير مدخلاتنا معه، ولا نعتمد فقط على معلوماتنا القديمة، وجزمًا سيكون هناك شيء جديد يضيف لك أي تفسير ستقرأه.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وألا يجعلنا أشقى خلقه، وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همومنا، وذهاب أحزاننا.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها